فاسرائيل لا تعترف بأن وضعها يسوغ التعذيب · وهي تنكر انكارا تاما ان التعذيب يستعمل ابدا · كما ان اسرائيل لا تبرر اخفاقاتها في الحقوق المدنية بالمقارنات مع النقائص العربية · بل على العكس فهو امر جوهري لروح اسرائيل ولحاجتها الى الدعم الدولي انها جزء من الغرب ـ وبالتالي ان يحكم لها او عليها وفقا للمقاييس الغربية · فاسرائيل تدعي « كحقيقة » ـ كما قال مراقب اسرائيلي رسمي في اجتماع للجنة حقوق الانسان التابعة للامم المتحدة في آذار (مارس) ١٩٧٣ ـ « ان حقوق الانسان للسكان المدنيين [في الاراضي المحتلة] كانت وما تزال تحترم وتصان على نحو كامل ··· والحقائق تشير الى مجتمع مفتوح ، هادىء ومستريح » ·

وبعد عشرة اعوام من الاحتلال العسكري ، شعرت اسرائيل انها قادرة على القول ، في كتابها الرسمي :

« المناطق المدارة هادئة ومزدهرة اليوم ··· والعرب والاسرائيليون الذين كانوا حتى عام ١٩٦٧ يعيشون في عزلة وتباعد متبادلين يتمتعون اليوم ببدايات تعايش سلمي ومثمر » ·

وبما ان اطروحتنا هي ، على وجه الدقة ، ان الحاجة الدولية الى المحافظة على ذلك المركز تفسر استخدام التعذيب الى حد بعيد ، فمن الضروري ان نبدأ بايجاز استجابة اسرائيل لمشكلات « التعايش » :

لقد مرت ردة الفعل الفلسطينية على احتلال الضفة الغربية في ثلاث مراحل · المرحلة الاولى : مقاومة نشيطة من اواسط ١٩٦٧ الى نهاية ١٩٦٩ · وبنهاية ١٩٦٩ كانت الغارات على المستوطنات الحدودية قد توقفت تقريبا ·

المرحلة الثانية من منتصف ١٩٧٠ حملت معها هدوءا نسبيا · فبعد سحق الفلسطينيين في صراع « ايلول الاسود » بالاردن وموت الرئيس عبد الناصر صار المناضلون الفلسطينيون يتطلعون الى الخارج : الى الالعاب الاولمبية فيميونيخ في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٢ مثلا ·

اما المرحلة الثالثة فيمكن ردها الى الغارة الإسرائيلية على بيروت في نيسان (ابريل) ١٩٧٣ عندما استولى الاسرائيليون على الالوف من الوثائق · وعلى اساس هذه الوثائق شهدت الضفة الغربية ، وبصورة لها دلالتها منطقة الجليل ، ضمن حدود اسرائيل القديمة، موجات جديدة من الاعتقالات التي شملت مناضلين فدائيين او متعاطفين مشتبه بهم · والاضطرابات التي اشعلتها موجات الاعتقال هذه ـ في شكل اضطرابات مدنية وتظاهرات قام بها طلبة المدارس الثانوية الى حد كبير ـ شهدت مدا وجزرا ولكنها لم تتوقف فعلا قط · ونتيجة للاستيطان الاسرائيلي المتواصل في الضفة الغربية ،والغارات الانتحارية الفلسطينية كالتي شنت على كريات شمونة ومعالوت وبيسان ، ازدادت المشاعر بين الشعبين سوءا ·

اما في غزة فقد اختلف شكل المراحل · فبوجود ٣٠٠ الف لاجيء محشورين حشرا في المخيمات الى جانب ١٠٠ الف من اهالي غزة الاصليين ، فان المنطقة هي احدى اكثر مناطق العالم اكتظاظا بالسكان ـ وبيئة مثالية للعمل الفدائي · وقد استمرت المقاومة النشيطة هناك حتى أواسط ١٩٧١ ، عندما تحولت الى حرب اهلية صغيرة بين الفئات الفلسطينية المتنافسة · وشقت اسرائيل بالبولدوزرات طرقات عريضة عبر المخيمات كخطوة